Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

عنصر الفكاهة كان هو الجانب المسيطر على أمثال هذه الكتابات ، الا أنه ـ شأن كل كاتب ماهر ـ كان يقدم خلال هذه الكتابات الجاحظية بعض ما يعكس ذلك القدر الكبير من الثقافة ، العامة واللغوية والفلسفية والتاريخية .. خلال سطورها ، بل كان ـ كطريقته ـ يخرج أحيانا الى بعض الجد ، أو يتناول بعض الأمور الجارية ، ممتزجة بهذه الفكاهة نفسها أو يعود الى اطلاق النكات التى يعرفها أو سمع بها ، أو راح هو يؤلفها مما يتناسب واللحظة التى يصورها ، أو الشخصية التى يتناولها ، بل لقد كانت بعض هذه المقالات ، تحتوى على كثير من الأفكار الجانبية الجادة التى تدهش القارىء ، بل انه ـ حتى فى هذا الجانب ـ كان يغلب طريقته بالاستطراد ، والخروج من موضوع الى موضوع ومن فكرة الى فكرة ـ دون اعتداء على الشكل أو الاطار المقالى ، ومن هنا ، فقد عاشت هذه المقالات وسوف تعيش ما أراد لها الله ذلك بينما اختفت كتابات فكاهية أخرى ، ولم يبق منها شيئا ، لأنها لا تستحق البقاء . ومن هنا أيضا .. فقد قيل عن رسالة « التربيع والتدوير » كثيرا ، حتى وصفها بعض المستشرقين ـ وهى أنموذج للمقالة الكاريكاتورية الطويلة ـ بأنها « أشبه ما تكون بدائرة معارف » (٣٩) .. هكذا قال عنها البارون « كرادى فو »

٧ ـ **واقعية اللغة وجاذبيتها** : وان كنا لا نريد أن نسترسل الآن فى ذلك كثيرا ، الا أننا نشير الى أن هذه الواقعية التعبيرية ، وان كانت عنصرا جوهريا من عناصر كتابته كلها وعلما عليها خلال جميع مراحلها وأغراضها ، الا أننا نشير اليها هنا بالذات ، لأنها تمثل جانبا من هذه الجوانب الهامة التى تؤكد عبقرية الرجل ، وزوايا مقدرته الأدبية والصحفية معا ، فأمر عادى أن يكون الرجل واقعيا فى لغته عندما يكتب مادة اخبارية ، أو تلك التى تقترب من التحقيقات الصحفية ، أو الأحاديث ، كما أشرنا الى ذلك من قبل ، ولكن أن يعود الرجل ليكتب كل هذه الملح والطرائف ، والفكاهات وحتى النكات الممتعة ، لأن المقام هو مقامها والمقال هو مقالها ، والمجال هو مجالها أيضا، فان ذلك ـ ولا ريب ـ يكون مبعث دهشة واعجاب معا ، فهل يكون صاحب «الحيوان» و « البيان والتبيين » و « الاعتزال وفضله » و « أى القرآن » و « الرد على اليهود » و « الاستبداد والمشاورة فى الحرب » .. وغيرها، وغيرها ، هو نفسه صاحب هذه الواقعية التعبيرية التى جاءت ضمن سطور كتاباته الفكاهية والكاريكاتورية ؟.

ولعل ذلك يكون سببا فى أنه راح يحشد لها من جوانب الجاذبية